

ظاهرة التدخين

ظاهرة التدخين متفشية في المجتمع على اختلاف المستويات وفي كافة الطبقات صغارا وكبارا ، رجالاً ونساءً ، شبيهاً وشباناً ، ولم ينج منها إلا من غلب الإرادة على الهوى ، والعقل على العاطفة والمصلحة على المفسدة .

ويتناول الباحث هذه الظاهرة من الجوانب التالية :

- 1- الأضرار التي تنجم عنها .
- 2- حكم الشرع فيها .
- 3- كيف نعالجها .

أولاً : الأضرار التي تنجم عن التدخين :

1- الضرر الصحي والنفسي :

الدخان يورث السل ، وسرطان الرئة ، ويضعف الذاكرة ، ويقلل الشهية ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ، ويعيق التنفس ، ويهيج الأعصاب ، ويحدث انحطاطاً عاماً في الجسم ، ويميع الحلق ، ويحلل الإرادة ، ويعود على الكسل والاسترخاء .

ومن تقارير الأطباء المختصين في أضرار التدخين وتأثيره على الصحة (1) :

- إن المدخنين ينتحرون ولكن انتحاراً بطيئاً .
- نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد 68% عنها من بين غير المدخنين .
- عندما يدخن شخص ما سيجارة فإنه يبتلع الدخان ويحتفظ الجسم بـ (80% - 90%) منه ، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمع في الطرق التنفسية ، والقطران هو نوع من عدة مركبات كيميائية يستطيع بعضها إحداث السرطان ، وتجعل الرئة موطناً صالحاً للسل والجراثيم الممرضة الفتاكة ، والمدخنون أشد عرضة للإصابة بالسل والسرطان من الذين لا يدخنون ، وبالتالي فإن عادة التدخين تسبب الأفات الرئوية المزمنة : كالتهاب القصبات الهوائية وانتفاخ الرئة والربو والسل .

إن التدخين يهيج أمراض القلب ، فالنيكوتين يزيد ضربات القلب ويصيب الأوعية الدموية ، فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالباً بتقويض حياتهم .

2- الضرر المالي والاقتصادي :

- المدخن يقتطع جزءاً من دخله ليبيده في التدخين .
- وهناك مبلغ آخر يصرفه المدخن على العلاج من الأمراض الناتجة عن التدخين .
- إلى جانب الخسارة التي تلحق باقتصاد الدولة باعتبار نسبة المفقود من ساعات العمل لمجموع الأفراد المدخنين العاملين بأجهزة الدولة وتأثير ذلك على الإنتاج في مختلف القطاعات وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إضاعة المال .

3- الضرر الاجتماعي :

عندما يقوم المدخن بالتدخين في وسط أناس غير مدخنين فإنه يسبب إزعاجاً لهم ، مما يجعلهم يشمئزون منه ومن سلوكه في التدخين ، فهل هنالك ضرر أضر على الصحة والأخلاق والمجتمع من موبقة التدخين . ولكن - ويا للأسف - أكثر الناس لا يعلمون !!؟ .

(1) عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام ، ج1، مرجع سابق، ص220-222.

ثانياً : حكم الشرع في ظاهرة تناول الدخان :

أ- من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء والمجتهدين أن ما يؤدي إلى الضرر ويوقع في المهالك ، فاجتنابه واجب ، وفعله حرام للحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " لا ضرر ولا ضرار " (1) .
ولعموم قوله تبارك وتعالى : { ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } (2)
وقوله تعالى : { ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً } (3) . وباعتبار أن الدخان قد ثبت ضرره جسيماً ، وتحقق خطره صحياً واجتماعياً فاجتنابه واجب ، وتناوله حرام .

ب- الدخان يدخل في زمرة الخبائث لضرره على الجسم ، وتسببه الرائحة الكريهة للشم ، والله سبحانه قد أحل للإنسان الطيبات وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه وسلامته خلقه وتفكيره ، وظهوره في المجتمع بمظهر محبب جميل ، يقول الله سبحانه :
{ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب } (4)
{ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث } (5)
{ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث } (6) .

ج- إن الدخان يُخدر العقل ويُفتر الجسم ، وهذا أمر يشعر به المقدم على تناوله ، والمبتدئ بشربه ، والمتدرج في الاعتياد عليه ولا سيما إذا أفرط وأكثر . وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كل مفتر ، كما نهى عن كل مسكر ومخدر وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، وأبود داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " نهى رسول الله عن كل مسكر مفتر " أي مخدر (7) .

فهذه النصوص بمنطوقها ومدلولها تؤكد أن تناول الدخان حرام ، واجتنابه واجب ، لضرره البالغ ، وخبثه الظاهر (8) .

ثالثاً : علاج ظاهرة التدخين :

- 1- تنظيم حملات إعلامية واسعة النطاق في الصحف والمجلات وفي الإذاعة والتلفاز . تحذر من الدخان وتكشف عن ضرره البالغ ، وخطره الكبير ، وذلك بالاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص ورجال الفكر وأصحاب الأقلام ، مع منع التدخين في الأماكن العامة وازدحام الناس .
- 2- على الكبار المعتادين شرب الدخان أن يكون عندهم من المراقبة عز وجل ، والخشية منه ما يردعهم عن تناول المحرمات والتي منها الدخان ، وأن يكون عندهم كذلك من الإرادة والعزم والتصميم ما يقويهم على مغالبة النفس والهوى ، وأن يكون عندهم من العقل والحكمة ما يدفعهم على أن يسيروا في الطريق السوي الذي لا عوج فيه ولا التواء .
ولا شك أن الإنسان إذا تحلى بالإيمان الذي يردع ، والإرادة التي تسيطر ، والعقل الذي يوجه ، فإنه سيرفل في الحياة الهانئة الطيبة .
- 3- أما الأبناء الذين اعتادوا التدخين بغفلة عن مراقبة أهليهم ومربيهم ، فإهمال أمرهم خطير وشرهم على المجتمع - إن تركوا - كبير ومستطير .
فما على الآباء والمربين ، إلا أن يراقبوا أوضاع أولادهم ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم ، ويعالجوا انحرافهم ، حتى يردوهم إلى الجادة ويصلوا بهم إلى شاطئ السلامة .

(1) رواه مالك والشافعي، كشف الخفاء، 491/2 ح 3075.

(2) سورة البقرة: آية 195.

(3) سورة النساء: آية 29.

(4) سورة النساء: آية 2.

(5) سورة الأعراف: آية 157.

(6) سورة المائدة: آية 100.

(7) أحمد بن حنبل 4/273-407.

(8) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص224.